

محمد الفيتوري

المولود في الاسكندرية عام 1930 م

محمد الفيتوري

-1930م-

ولد الشاعر محمد مصباح الفيتوري في الاسكندرية بمصر حيث تعلم في المدرسة الابتدائية ثم انتقل إلى الثانوية في الأزهر في القاهرة، وتابع تحصيله الجامعي في الأزهر وجامعة القاهرة.

عمل الفيتوري في الصحافة فكان المحرر الثقافي لمجلة آخر ساعة القاهرية، ثم رأس تحرير الثقافة العربية في بيروت. وأسس داراً للنشر في بيروت عام 1981 عاشت سنة واحدة لأنه ترك بيروت سنة 1982 وأغلق داره.

ظل الشعر رفيقه و"وظيفته" الأولى والأخيرة. كان شاعر الصوفية أو "صوفية الشاعر" أو "شاعرية الصوفي" كما وصف نفسه. إنه الصوفي الثوري "وليس أبداً ذلك الصوفي التقليدي المتهاك المهزوم".

ولد قصيراً نحيلاً، بشرته أميل إلى السواد. لم يسبب له هذا الوضع الجسماني عقدة نقص رغم كرهه للأضواء والضوضاء والشهرة. أحب زيارة القبور وصلاة الفجر وكره حفلات الأعراس ومواسم الأعياد. كان بطله الأول عنتر بن شداد الفارس العربي الأسود، هذا الأسود مثله الذي عرف كيف يفرض ذاته وأن يؤكد "وجوده في مجتمع الجاهلية المتعصب الذي لا سيادة فيه إلا للأقوى والأشرف والأغنى"، فأصبح فارساً عظيماً وشاعراً أسطورياً علقت معلقاته المكتوبة بماء الذهب على أستار الكعبة.

أكمل الفيتوري رحلته مع الشعر والشعراء فأعجب بالنابعين منهم أمثال المعري والمنتبي وابن الرومي وأبو تمام ولكنه رفض البحتري وأبو العتاهية وأبو نواس. أحب جبران خليل جبران وقال عنه: "قد يجيء اليوم الذي أصبح فيه شاعراً ذا فلسفة ووجهة نظر في الكون وفي الحياة مثله... جبران ذلك النبي الضائع. إن حبي له لا يعادله حب".

كتب الفيتوري أول تجربته الشعرية عام 1955، عندما أصدر ديوانه "أغاني أفريقيا" مع مقدمة لمحمود أمين العالم. ثم تتابعت الإصدارات فكان "عاشق من أفريقيا" (1964)، "أذكريني يا أفريقيا" (1966)، "النجوم تغتسل في العاصفة" (1985)، "شرق الشمس غرب القمر" (1985)، "يأتي العاشقون إليك" (1982). وكانت له مسرحيات شعرية بينها: "سقوط عمر المختار" (1974)، "أحزان أفريقيا"، "سُلارا" (1969).

الديوان

من أغاني إفريقيا

يا أخي في الشرق ، في كل سكن
يا أخي في الأرض ، في كل وطن
أنا أدعوك .. فهل تعرفني ؟
يا أخا عرفه .. رغم المحن
إنني مزقتأكفان الدجى
إننى هدمت جدرانالوهن
لم أعد مقبرة تحكى البلى
لم أعد ساقية تبكى الدمن
لم أعد عبد قيودى
لم أعد عبد ماض هرم عبد وثن
أنا حى خالد رغم الردى
أنا حر رغم قضبان الزمن
فاستمعلى .. استمع لى
إنما أذن الجيفة صماء الأذن
إن نكن سرنا على
الشوك سنينا
ولقينا من أذاه ما لقينا
إن نكن بتنا ولقينا من أذاه ما لقينا
إن نكن بتنا عراة جائعينا
أو نكن عشنا حفاة بانيسنا
إن تكن قد أوهت الفأس قوانا
فوقفنا نتحدى الساقطينا
إن يكن سخرنا جلدنا
فبنينا لأمانينا سجونا
ورفعناه على أعناقنا ولثمنا قدميه خاشعينا
وملأنا كأسه من دمنا
فتساقانا جراحا وأنينا
وجعلنا حجر القصر رؤوسا ونقشناه جفونا وعيونا
فلقد ثرنا على أنفسنا ومحونا وصمة الذلة فينا
الملايين افاقت من كراها ما تراها

ملأ الأفق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها
بعد ان تاهت على الأرض وتاها
حملت فؤسها وانحدرت
من روابيها وأغوار قراها..!
فانظر الإصرار فى أعينها وصباح البعث
يجتاح الجباها
يا أخى فى كل أرض عربيت من ضياها
وتغطت بدماها
يا اخى فى كل ارض وجمت شفتاها
واكفهرت مقلتاها
قم تحرر من توابيت الأسى
لست اعجوبتها
أو موميها انطلق
فوق ضحاها ومساها

طفل الحجارة

ليس طفلاً ذلك القادم فى أزمنة
الموتى الهىّ الأشارة
ليس طفلاً وحجاره
ليس بوقاً من نحاس ورماد
ليس طوقاً حول أعناق الطواويس محلى بالسواد
انه طقس حضارة
انه العصر يغطى عريه فى ظل موسيقى الحداد
ليس طفلاً ذلك الخارج من قبعه الخاخام
من قوس الهزائم
انه العدل الذى يكبر فى صمت الجرائم
انه التاريخ مسقوفاً بازهار الجماجم
انه روح فلسطين المقاوم
انه الأرض التى لم تخن الأرض
وخانتها الطرابيش

وخانتها العمائم
انه الحق الذى لم يخن الحق
وخانته الحكومات
وخانته المحاكم

فانتزع نفسك من نفسك
واشعل أيها الزيت الفلسطيني أقمارك
وأحضن ذاتك الكبرى وقاوم
وأضىء نافذة البحر على البحر
وقل للموج ان الموج قادم
ليس طفلاً ذلك القادم
فى عاصفة الثلج وأمواج الضباب
ليس طفلاً قط فى هذا العذاب
صدئت نجمة هذا الوطن المحتل فى مسراك
من باب ألباب
مثل شحاذ تقوست طويلاً فى أقاليم الضباب
وكزنجى من الماضى تسمرت وراء الليل
مثقوب الحجاب

ليس طفلاً يتلهى عابثاً
فى لعبة الكون المحطم
أنت فى سنبلة النار وفى البرق المثلث
كان مقدوراً لأزهارك وجه الأعمدة
ولأغصانك سقف الأمم المتحدة
ولأحجارك بهو الأوجه المرتعد

ليس طفلاً
هكذا تولد فى العصر اليهودى وتستغرق
فى الحلم أمامه
عاريا الأ من القدس ومن زيتونه
الأقصى وناقوس القيامة

شفقياً وشفيفاً كغمامة
واحتفالياً كأكفان شهيد
وفدائياً من الجرح البعيد
ولقد تصلبك النازية السوداء في
أقبية العصر الجديد
فعلى من غرسوا عينيه بالقضبان أن
لا يتألم
وعلى من شهد المأساة
أن لا يتكلم

قصيدة الرياح

رُبَّمَا لَمْ تَزَلْ تَلْكُمُ الْأَرْضُ
تسكن صورتها الفلكية
لكن شيئاً على سطحها قدْ تَكْسِرُ
رُبَّمَا ظَلَّ بِسْتَانُ صَيْفِكَ
أَبْيَضَ فِي الْعَوَاصِفِ
لَكِنَّ بَرْقَ الْعَوَاصِفِ
خَلْفَ سِيَاجِكَ أَحْمَرُ
رُبَّمَا كَانَ طَقْسُكَ ، نَاراً مُجُوسِيَّةً
في شتاء النعاس الذي لا يُفَسِّرُ
رُبَّمَا كُنْتَ أَصْغَرَ
مِمَّا رَأَتْ فِيكَ تِلْكَ النِّبَوَاءُ
أَوْ كُنْتَ أَكْبَرَ
غير أنك تجهل أنك شاهدٌ عَصْرٍ عَتِيقُ
وأن نيازكٍ من بشرٍ تتحدَّى السماء
وأن مدارَ النجوم تغير!!
هَاقِدٌ انطَفَأَتْ شِرْفَاتُ السَّنِينِ
الشَّيْعَةُ بِالسَّحْرِ وَاللُّؤْلُؤِ الزَّلِيِّ
وَأَسْدَلَّ قَصْرُ الْمَلَائِكَةِ الْمُنْتَشِدِينَ سَنَايِرُهُ
وَكَأَنَّ يَدَا ضَخْمَةً نَسَجَتْ
أَفْقاً مِنْ شَرَايِينِهَا

في الفضاء السديمي
ها قد تداخلت اللعة المستحيلة
في جدضل الشمس والظنلمات
كأن أصابع من ذهب تتلمس
عبر ثقوب التضاريس
إيقاعها

تلكم الكائنات التي تتضوع في صمتها
لم تغادر بكارائها في الصباح
ولم تشتعل كرة الثلج بعد...!
فأية معجزة في يدك
وأية عاصفة في نهارك
((إني رأيت سقوط الآله
الذي كان في بخارست
كما لو برج إيفل في ذات يوم
كما لو طعى نهر السين
فوق حوائط باريس
كان حريق الإله الذي
مات في بوخارست عظيمًا
وكان الرماد عظيمًا
وسال دم بارد في التراب
وأوحد باب
وورب باب
ولكن ثمة في بوخارست بلادي أنا
لا تزول الطواغيت
أقنعة تشرك الله في خلقه
فهي ليست تشيخ
وليست تموت!
وقائمه هي ، باسم القضية
وأنظمة الخطب المبرية
وحاملة هي ، سر الرسالة
وشمس العدالة

وَقَادِرَةٌ“ هي ، تَمَسُخُ رُوحَ الْجَمَالِ
ولا تعرف الحقَّ
أو تعرف العدل
أو تُرْفُ الاستِقاله
وفي بوخارست بلادي
أزمنةٌ تَكْنِزُ الْفَقْرَ خَلْفَ خَزَائِنِهَا
وَسُكُونٌ“ جَرِيحٌ
وَأَشْبَاحٌ مَوْتَى مِنَ الْجُوعِ
تَخْضِرُ سِيْقَانَهُمْ فِي الرَّمَالِ
وَتَبِيْسٌ ثُمَّ تَقْبِيحٌ!
وَمَجْدٌ“ من الكبرياء الذليلة
وَالْكَذِبِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ
(كَأَنَّكَ لَمْ تَأْتِ إِلَّا لِكَيْ تُشْعِلَ النَّارَ
فِي حَطَبِ الشَّرْقِ وَحَدِّكَ
فِي حَطَبِ الشَّرْقِ وَحَدِّكَ
تَأْتِي..
وَسَمْسُكَ زَيْئُونَةٌ“
وَالْبِنْفَسُجُ إِكْلِيلُ غَارِكِ
ولا شيء في كُتُبِ الْعَيْبِ غَيْرُ فَرَارِكِ))
(إِنِّي رَأَيْتُ رَجَالًا
بَنَوْا مِنْ حِجَارَةِ تَارِيخِهِمْ وَطَنًا
فَوْقَ حَائِطِ بَرْلِينِ
وَأَنْحَقَرُوا فِيهِ
ثُمَّ تَوَارَوْا وَرَاءَ السَّنِينِ
لِكَيْ لَا يُنْكَسَ رَأْيُهُ الْمَجْدُ يَوْمًا
عَلَى قُبَبِ الْمَيِّتِينَ
وَكَيْلًا تُدَوِّرَ عَلَى الْأَرْضِ
نَافُورَةَ الدَّمِ وَالْيَاسْمِينِ!))
وفي بُوْخَارِسْتِ الَّتِي
سَكَبَتْ رُوحَهَا فِيكَ
وَأَزْدَهَرَتْ فِي نُفُوشِ إِزَارِكِ

في بُوحَارِسْتِ انتَظَارِكُ
سَمَاءُ“ تَكَادُ تَسِيلُ أَحْمِرَاراً
وَأَيْدٍ مُقَوَّسَةً“ تَتَعَانَقُ خَلْفَ الْغِيَوْمِ
وَأَجْرَةً مِنْ تُرَابِ النُّجُومِ
تُظَلُّ تُبَعِثُرُهَا الرِّيحُ
خَلْفَ مَدَارِكِ!

التراب المقدس

وَسَدُّ الْآنَ رَأْسَكَ
فَوْقَ التُّرَابِ الْمُقَدَّسِ
وَارْكَعْ طَوِيلًا لَدَى حَاقَةِ النَّهْرِ
ثَمَّةً مِنْ سَكَنَتْ رُوحُهُ شَجَرَ اللَّيْلِ
أَوْ دَخَلَتْ فِي الشُّجَى الْأَبْنُوسِيِّ
أَوْ حَبَّاتٍ ذَاتَهَا فِي نُفُوشِ النَّصَارِيِّسِ
ثَمَّةً مَنْ لَامَسَتْ شَفَقَاهُ
الْقَرَابِينَ قَبْلَكَ
مَمْلَكَةُ الزَّرْقَةِ الْوَتْنِيَّةِ...
قَبْلَكَ
عَاصِفَةُ اللَّحْظَاتِ الْبَطِيئَةِ..
قَبْلَكَ

يَا أَيُّهَا الطِّيفُ مُنْفِلِتًا مِنْ عُسُورِ الرَّتَابَةِ وَالْمَسْخِ

مَاذَا وِرَاعِكَ

فِي كَتَبِ الرَّمْلِ؟

مَاذَا أَمَامِكَ؟

فِي كَتَبِ الْغَيْمِ

إِلَّا الشَّمُوسِ الَّتِي هَبَطَتْ فِي الْمَحِيطَاتِ

وَالْكَائِنَاتِ الَّتِي انْحَدَرَتْ فِي الظَّلَامِ

وَ امْتَلَأُوكَ بِالذَّمْعِ

حَتَّى تَرَكَمْتِ تَحْتَ تُرَابِ الْكَلَامِ

وسد الآن راسك

متعبة“ هذه الرأس

متعبة“..

مثلما اضطربت نجمة“ في مداراتها

أمس قد مرّ طاغية“ من هنا

نافخاً بوقه تحت أقواسها

وانتهى حيث مرّ

كان سقف رصاص ثقيلاً

تهالك فوق المدينة والناس

كان الدّمامة في الكون

والجوع في الأرض

والقهر في الناس

قد مرّ طاغية من هنا ذات ليل

أتى فوق دبابة

وتسلّق مجداً

وحاصر شعباً

غاص في جسمه

ثم هام بعيداً

ونصّب من نفسه للفجعة ربّاً

وسد الآن رأسك

غيم الحقيقة درب ضيائك

رجع الترانيم تبع بكائك

يا جرس الصّدقات البعيدة

في حفلة النّوء

يشتاقتك الحرس الواقفون

بأسيافهم وبيارقهم

فوق سور المدينة

والقبة المستديرة في ساحة الشّمس

والغيمة الدّهية

سابعة في الشّناء الرمادي

والأفق الأرجواني والارصفة

ورؤوس ملوك مرصعة بالأساطير

والشعر

والعاصفة

أمس جئت غريباً

وأمس مضيت غريباً

وها أنتَ ذا حيثما أنت

تأتي غريباً

وتمضي غريباً

تُحدِّق فيك وجوه الدُّخَان

وتدنو قليلاً

وتنأى قليلاً

وتهوى البروق عليك

وتجمد في فجوات القناع يداك

وتسأل طاحونة الريح عنك

كأنك لم تك يوماً هناك

كأن لم تكن قط يوماً هنالك

وسد الآن راسك

في البدء كان السكونُ الجليل

وفي الغد كان اشتعالك

وسد الآن رأسك

كان احتجابك

كان غيابك

كان اكتمالك

وسد الآن راسك

هذا هو النهر تغزله مرتين

وتنقضه مرتين

وهذا العذاب جمالك

رؤيا

خارجاً من دمانك
تبحث عن وطن فيك
مستغرق في الدموع
وطن ربما ضعيت خوفاً عليه
وأمعنت في التيه كي لا يضيع
أهو تلك الطقوس؟
!التي الأبتستك طحاليها في عصور الصقيع
أهو تلك المدائن؟
تعشق زوارها ، ثم تصلبهم في خشوع
أهو تلك الشموس ؟
التي هجعت فيك
حالمة بمجيء الربيع
أهو أنت؟
وقد أبصرتك العيون
!وأبصرتها في ضباب الشموع

خارجاً من غيابك
لا قمر في الغياب
ولا مطر في الحضور
مثلما أنت في حفلة العرس والموت
لا شيء إلا أنتظار مرير
وانحناء“ حزين على حافة الشعر
في ليل هذا الشتاء الكبير
ترقب الأفق المتداخل
في أفق لم يزال عابراً في الأثير
ربما لم تكن
ربما كنت في نحلة الماء
أو يرفقات الجذور
ربما كان أجمل
!لو أطبقت راحتك على باقية من زهور

هوانا

الهوى كل هوى دون هوانا
نحن من أشعلت الشمس يدانا
والخُطى مهاتناعت أودنت
فهى في دورتها رجع خطانا
وإذا التاريخُ أغنى أُمَّةً
بشهيْدٍ فألوف شهدانا
وإذا الثورة كانت بطلاً
يطأ الموت ويحتلُّت الزمانا
فلنا في كلِّ جيلٍ بطلٌ“
مجدهُ يحتضن المجد احتضانا
عرب“ نحن .. وهذا دمنا
يتحدى في فلسطين الهوانا
عرب رايئنا وحدتنا
حلقت صقرا وحطت في سمانا
عرب“ .. لا أمضُ الملح ، ولا
أكسر السيف بعيني مُهاناً
فأنا أعرف أنَّ الروح من
روحنا نحن.. وأن الكون كانا
وأنا أعرف أن الشمس في غيبة
ثم تعود الدورانا
والمخاضاتُ عذاب..
ولقد تلذُّ الأرحامُ وحلاً واحتقاننا
وأنا أعرفُ أنني أُمَّةٌ
هي عند الله أعلى صولجانا
وأنا أركضُ فى بستانها
خيلاءً.. وأغنى المهرجانا
وأسألوا التاريخ عنها
ينتفض كلُّ عرقٍ عربيٍّ عُفوانا

أه يا ذاكرة الأرض
لكم ثقلت أقدامهم فوق ثرانا
والدُجى كان بطيئاً
والأسى كان مُراً رَشَقَهُ شفتانا

المتنبي

يَمُرُّ غَيْرِكَ فِيهَا مُحْتَضِرُ
لا برق يخطف عينيه ولا مطر
وأنت.. لا أسألاً التاريخ عن هرم
في ظلّه قمم التاريخ تنتظر
عن عاشق في الثرى..
لم تكتمل أبداً
إلا على صدره الآيات والسور
عن الذي كان عصرا شامخا
ويدداً تشد عصرا اليها
وهو ينحدر
بمر غيرك
بعض العابريت على بطونهم
يثقلون الأرض إن عبروا
كمثل من أبصرت عيناك
ثم نأت عيناك عنهم
فلا غابوا.. ولا حضروا
وبعضهم أنت تدري
ان شعرك لو لم يلق ضوءاً
على أيامهم غيروا
كانوا ملوكا على أرض ممزقة
يجوع فوق ثراها النبات والبشر
كانوا ملوكا ممالিকা
وأعظمهم تحت السموات
من في ظلك استتروا

ورحت تنفخ فيهم منك
ترفعهم ، فيسقط البعض
أو تبنى .. فينكسر
أردت تخلق أبطالاً ، تعيد بهم
عصر النبوة والرؤيا ، فما قدروا
هتفت : يا عمر
مكتوب لك العمر

وليس ينقص فيك الجهد والسهر
وإنما تنقص الاعمار في وطن
يغتاله القهر ، أو يغتاله الخطر
!وقلت..

والشاهدان ، الليل والسفر
وشعلة في مدار الكون تستعر
هذي الطيور التي احمرت مخاليبها
فوق الصخور لنا
ولتستح الحفر
وسرت غضبان في التاريخ
لا عنق إلاً ومنك على طياته أثر
تصفو ، وتجفو
وتستعلي ، وتبتدر
وتستفز ، وتستثنى ، وتحتقر
هذا زمانك

لا هذا زمانهم
فأنت معنى وجودٍ ليس ينحصر
في كل أرض وطنتها أمم
ثرعى بعيدٍ كأنها غنم
وإنما الناس بالمملوك
وما تصلح عرب ملوكها عجم
وتكفهر على مرآتك الصُّورُ
!أتعقم الأرض؟ هذي الأم
أيُّ دجى هذا الذي في عُيون الناس ينتشر

وينحني شجر الأيام
والغضب القدسي يغثو انكسارات
وينحسر

فلتسمع النُصْبُ الجوفاء والأطرُ
هذى الأعاني البواكي في فمي نذر
إذا تساقط في أيامهم علمُ
فأن أعلام من يأتي ستنتصر
وإن يخن خائن فالارض واحدة
برغم من خان .. والآلم مُختبرُ

وقلت بغداد
يا بغدادُ أيُّ فتى كان الفتى
وهو في عينيك يزدهر
أنت التي اخترته للعشق
كان إذا رآك في لهب الأحداث
ينفجر

ويحرث الأرض كالمجنون
بحرثها براحتين هما الإحباط والظفر
أقل مجك أن الفاتحين وقد
جاءوا غزاةً على أبوابك انكسروا
وبعض مجدي ، أنَّ الكون لي فلكُ
شعري وأنت عليه : الشمس والقمر
بغدادُ.. أشأمتُ مشدوداً إليك
ويا شام الهوى أنا في العاقول أنتظر
ويا حدائق كافور القديم
سوى تلك الثمار التي حُمّلتها الثمرُ

**

الله.. يا كم تغرّبنا
وكم بلغت منا الهموم
كما لم يبلغ الكبر

فإن أكن أمس قد غازلت أمنيّة

حيث أستوى الصمتُ

أو حيث استوى الضجر

فالمجد أعظم إيقاعاً

وَرَبَّ دَمٍ يمشي حزيناُ

ويمشي إثرهُ القَدْرُ